عروس الجنوب

حسن فتح الباب

من ذا الذي يحفر قبره المُخَضَّب
الشهيد
بين صدور القتلة؟
من ذا الذي يُبْدِلُنا
بالجِيَف المهترئه
طلعتَك المُغيرة المستبشره
بالموت للحياه
أكفانَك المُضَمَّخه
بالدَّمِ والطيوب
وحنطة الجنوب
من يا عروس الجنوب؟
من ذا الذي يحفر فينا قبره
يُبْدِلُنا بكل ما شدناه من خواء:
أسيافنا.. سجوننا العراه
رُعاتنا الشِّياه
أشداقنا الممتلئه
جلودنا الموشومة المُحَنَّطه
بساطنا الأحمر في المطار
والطائرات الصَّدئه
يُبْدِلُنا بالجِيَف المُهْتَرِئه
جناحك المسكونَ بالفردوس والجحيم
جناحَك الرَّحيم
جناحَك الرجيم
من ذا الذي سواك يا سناء
يُجَمِّع الأشلاء
لتستحيلَ عرباً؟
يُفَرِّقُ الأشلاء
لتستطير لهباً؟
من عَلَّم الأسماء
غيرَك يا سماء
من يا تُرى غيرَك يا سناء
يَعْرِفُنا
بطُهْرِهِ وعارنا
يُحِبُّنا
بفَرْحه وحزننا
يقهرنا
بجهره وصمتنا؟
من ذا يقول الكلمه؟
من يُرْسِلُ الرياحَ تَحْمِي الشجره
تُذْكِي رمادَ المَجْمَره
بين جُنُوب السُّجَناء المَرَده؟

* * *

من يا عَروسَ الجَنُوب
يَرْفَعُنا للمِقْصلَه
على رُكام القتله
لنشهدَ الزفافَ والضفافَ والطواف
حولك يا سناء
من قَبْلَ الغداةَ فرْعَ السنبله
قبلَ الحريق
ومن شدا للقبره
وأودع الوجدَ شفاهَ السوسنة
قبلَ ارتحال الشمس.. قبل أن
نغتالَ عذراءَ الشُّرُوق؟
من فَجَّر الوجهَ الربيعيَّ الجميل
شَظِيَّةً في قُنْبُله
من يا حبيبتي.. من يا ابنتي التي
قد أنجبتني مَرَّتَيْن.. مرة
يوم صُلِبْت
ومَرَّةً حينَ نجوتُ بالبَدَنْ
من يَرْكُزُ الرُّمحَ النَّبيل
بين الرقاب النَّخِرَاتِ المُشْرَعه
بسوطها وبوقها
سَيِّدَةً على الحُكام
أميرةً على خزائن الجباه
والجُثَث المُنتفخاتِ المترعه
بقَيْحها وقَمْحنا
بقبحها وذلنا
على النِّجاد والرِّياض والبحار
من ذا سواكِ يا سناء
يُسَدِّد الرمح الرحيم؟

* * *

أيتها الحبيبةُ المُرْتَحِلة
لم تسمعي أنينَ ثكلى.. صيحةً
لأرملة:
«وين يا عرب»!!
تُغريكِ أن تستشهدي
لمّا أَبَتْ أن تنتحرْ
أصنامُنا المُتَوَّجه
لكنْ سمعتِ الميّتينَ القادمين
من عَلَّمَ الطيرَ السجين
أن ينفجرْ؟
هذا اليتيمَ المُدَّثِرْ
بالريحِ والليلِ المُسَجَّى والمطرْ
من عَلَّمَهْ
أنَّ أباه الشمسُ والأمَّ القَمَرْ؟

من عَلَّمَ الغُصنَ المُبَرْعَمَ الرَّطِيب
سِحْـرَ خريـرِ المـاءِ في الخَلِيَّـةِ
المُخْضَوْضِرِه
سِرَّ بهاءِ المُنْحدر؟
من عَلَّمه
كيف يُحِيلُ الفجرَ جمرًا والشَّجَرْ
عاصفةً.. والحُبَّ درعاً للعُناه
والموتَ كي تحيا الحياه؟

* * *

موتٌ.. حياه
قِدِّيسةٌ ولا ضَرِيح
دَمٌ ولا قتيلَ لا جَريح
دمٌ يجفُّ.. لا يجفّ
كلَّ صباحٍ ينبثق
صواعقاً جوارحاً شُهُب
خليَّةً مقاتله
ضفيرةً مناضله
كلَّ مساءٍ يخترق
مرافئاً سَبيَّةَ القُرصان
مصارفاً للعَرقِ الخَضِيب
للدمِ السليب
وَهْجَ براكين الغضبْ
نبض شرايين التَّعَبْ
ذَرَّاتِ هذا المنجمِ السحيق
صرخة هذي الطفلة الغريق
هَبَّات هذي الريح
تَمَرُّد الإعصار
هباء هذا العالم المنهار

* * *

قربانَ لبنانَ عروسَ الجنوب
أين ترى نبني لك الرخام
تحت سفوح الأرز والغمام
ومن يرشّ الماء
من يحمل العبير للحبيب
أين ترى تمتزج الورود بالتراب
يمتزج التراب بالورود
مزارُك القبرُ الذي ليس يُزار
ليلٌ نهار
لا ليلَ لا نهار
مزارُك النيلُ الذي ليس يفيض
حتى يرى عروسَه.. قربانَنا
تغوصُ في أحشائنا
تُنقذنا من غَرَقٍ
عذراء لا تباع للشَّقِيِّ
لا تُزَفُّ للعَدَم
حتى يَرى
أهرامَنا.. أعيادَنا المرتهنه
خُضْرَة ما طَوَّقنا من اليباب
صُفْرَة أيديهم حديقةَ السراب
حقيقةَ الأزمنة المُغَيَّبَهْ
نضح فساد الأمكنه
سرّ انكسار المئذنه
كي لا يرى
دورة هذي الأرض بالتراثب المُحَدَّبَه
دورةَ هذي الأرضِ بالأرائكِ المُذَهَّبَه
أناملَ الحِنَّاء والأصابعِ المُلْتَهِبَه
طيفك لا شَجْو ولا حَنِين
سقفٌ مُضَاءٌ فوق عامِلَيْن
كرّاسة لراعِيَيْنْ شارِدَيْن
ظلّك دفءُ طائِرَيْنِ أزغبين
رؤيا خلاص عاشِقين
مباهج السنين

* * *

يا غضبًا يَكْوِي جِباهَ المُرْجِئَه
ظهورَها المَحْنِيَّةَ المَلْوِيةَ الأعناق
للمغامرينَ الفَجَرة
يا جبهة المستضعفين
غرّاءَ كالحقيقةِ المنتصره
شمّاء كالصنوبره
يا غيمةً مهاجره
إلى ربى العدل الذي
كم اخترقنا لا يضيء
يا ربة الضياء في
عيوننا المنطفئه
يا أَوَّلاً لنا
والمنتهى للمترفينَ الصائيه
يا حَبَّةَ العَرَقْ
يا جُرحَ أيدينا التي
فَدَيْتِها لِتَعْتَنِقْ
قَيْدَ رقابِنا الذي
فَجَّرْتِهِ لِنَنْعَتِقْ

* * *

لن تصعدَ الجبل
بَعدكِ يا سناء
بين صبايا الحَيِّ يا أسطورةَ الفداء
أبهى سناءً منك يا
شقيقة الشموس والأقمار
يا شجنِي.. يا شَهْقَةَ الوَتَرْ
يا حُلْمَ النساءِ من قِدَمْ
يا قطرةً تَرْوِي الصَّدَى
يا زينة الحسين.. قبلة الندى
على الدم الشهيد يا
صغيرةً على الردى
أكبرَ من أحلامنا
من صَلَفِ الأفعى ومن
تَشَدُّقِ المُرْتَزِقه
يا يَدَنَا القَوِيَّةَ المُمَزَّقه
يا كبدي المحترقه
يا سدرةً لعالم لم يأتِ بعد
موتك مجلاه الذي لن نشهده
موتك مصباح الحياة يَتَّقِدْ
إلى الأبد
إلى الأبد

حسن فتح الباب